أبان اللاحقي

سيرته – شاعريته

د. أحمد علي محمد

مقدمة:

عُرف أبان اللاحقي شاعراً ونظاماً في آن واحد، فكان في زمانه يسعى إلى رفع النظم إلى رتبة الشعر، حتّى بلغ غايته لمّا نظم كتاب «كليلة ودمنة» شعراً لبني برمك، فقيل: «كل كلام نقل إلى شعر فالكلام أفصح منه إلا كتاب كليلة ودمنة»[1].

وقد اشتهر أبان بنظمه فقدمه ابن المعتز على أبي نواس، وهو من تسنم ذروة الشعر في القرن الهجري الثاني، ومع هذه المكانة التي بلغها أبان عند القدماء فإنّه لم يحظَ باهتمام يذكر عند الباحثين المحدثين. من أجل ذلك أردت في هذا البحث تسليط الضوء على جوانب من سيرة أبان، وأتكلم على ما تبقى من شعره في المصادر كلاماً مجملاً، وأما نظمه فسوف أتركه إلى بحث آخر إن شاء الله.

١. مصادر سيرته:

لم تكن في مصادر الأدب إشارات مهمة تتصل بسيرة أبان

---

(١) الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد) ص: ٤٤/٧.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللاحقي، المتوفى نحو سنة مئتين للهجرة، قبل التي أوردها الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في (الحيوان) حيث ذكره مع عصابة المجان[١]، وفي (البيان والتبيين) عندما تكلم على طبعه فجعل له مزية على يحيى بن نوفل وسلم الخاسر وخلف بن خليفة، كمزية بشار بن برد في الطبع على سائر المحدثين[٢].

وبعد الجاحظ ترجم له ابن المعتز (٢٩٦هـ) في كتابه (طبقات الشعراء)، وكان التابعون من الأدباء قد اعتمدوا على هذه الترجمة لاشتمالها على شذرات طيبة من أخباره مع أبي نواس خاصة. وبهذه الترجمة يُطوى ذكره في مصنفات القرن الثالث الهجري.

وفي القرن الرابع تردد ذكر أبان في خمسة مصادر رئيسية:

١. كتاب (العِقد الفريد) لابن عبد ربه (٣٢٨هـ) وقد جمع طائفة مختصرة من أخباره، وقطعة يسيرة من شعره.

٢. كتاب (الوزراء والكُتّاب) للجهشياري (٣٣٠هـ) وقد اقتصر على ذكر بعض أخباره.

٣. كتاب (الأوراق) للصولي (٣٥٥هـ)، وهذا الكتاب يُعَدّ مصدراً أساسياً في دراسة شعر أبان، إذ أحاط بمعظم ما بقي من شعره، إضافة لاشتماله على ترجمةٍ له وقعت في نحو خمسين صفحة.

---

(١) الخبر في كتاب (الحيوان) ص: ٤/٤٥١، وسبب التسمية سيأتي لاحقاً.

(٢) الجاحظ (البيان والتبيين) تح: عبد السلام هارون ص: ١/٥١.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤. كتاب (الأغاني) للأصفهاني (٣٥٦هـ)، وأكثر ما جاء فيه مذكور في كتاب الصولي الآنف ذكره، ولكنه انفرد بقطع من شعر أبان، وهي قليلة.

٥. كتاب (الفهرست) للنديم (٣٨٠هـ) وقد تكلم على منظوماته والمؤلفات النثرية التي نقلها أبان إلى الشعر.

وفي القرن الخامس انتبه اثنان من الأعلام إلى ذكر أبان: الأول: ابن رشيق (٤٥٦هـ) في كتابه (العمدة)، والآخر: الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) في (تاريخ بغداد).

أما في مصنفات القرن السادس فلم نجدْ لَهُ فيها ذكراً يستحق التنويه. في حين وقف عند سيرته في القرن السابع ابن الأبار (٦٥٨هـ) في كتابه (اعتاب الكُتّاب). وفي القرن الثامن ذكره الصفدي (٧٦٤هـ) في (الوافي بالوفيات)، وفي القرن التاسع تعرض له ابن تغري بردي (٨١٣هـ) في كتابه (النجوم الزاهرة). وأخيراً وقف على أخباره من المتقدمين في القرن الحادي عشر الهجري حاجي خليفة (١٠٦٧هـ) في (كشف الظنون) وعبد القادر البغدادي (١٠٩٣هـ) في (خزانة الأدب).

فهذه أهم المؤلفات التي انطوت على ذكر أبان اللاحقي، وواضح أنّ ما أورده الصولي عنه اتسم بالإحاطة والشمول، في حين حاز الجاحظ في ذكرِهِ طرفاً من سيرته فضل السبق.

٢. مصادرُ شعره:

لا نستطيع القول: إنّ ما وصل إلينا من شعر أبان اللاحقي بطريق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصولي أو غيره، جزءٌ من شعر ضاع كثيرٌ منه أو قليل؛ ذلك أننا لم نتبينْ، في مصنفات المتقدمين والمحدثين التي عنيت بآثار الأدباء من الكتب والأشعار، أنّ له ديوان شعر اطلع عليه الناس.

وأكبر الظن أنّ أبانا قد عُرف نظاماً أكثر منه شاعراً، لقولٍ أشاعه النديم عندما ذكر: «إنّ أكثر شعره من المزدوج والمسمط»[١].

وما يؤكد ذلك أنّ له في قصيدته التي نظم فيها كتاب (كليلة ودمنة) أربعة عشر ألف بيت[٢]، ويضاف إلى ذلك قصيدة سماها بذات الحلل، وهي التي نسبت خطأً لأبي العتاهية[٣]، وقصيدة في الصوم، وله شعرٌ آخرُ نظم فيه سيرة أنوشروان، وسيرة أردشير، وكتاب بلوهر، وبراداسف وكتاب الرسائل وكتاب حكم الهند...[٤].

وفي ذلك كله مؤشر على كثرة نظمه، ولكن أكثر هذا النظم قد ضاع، فنحن لا نجد من منظومته (كليلة ودمنة) سوى (٧٦) بيتاً، ومن ذات الحلل (٥) أبيات، ومن قصيدته في الصوم (٢٧) بيتاً، وأما منظوماته الأخرى فلم نعثر على أثر لها.

---

(١) النديم (الفهرست) ص: ٣٠٠.

(٢) الصولي (الأوراق) تح: هيوارث دن ص: ١. وقال ابن المعتز: «وهي قريبة من خمسة آلاف بيت. انظر: (طبقات الشعراء) ص: ٢٤٠.

(٣) المصدر السابق، ومن الغريب أن د. شكري فيصل في أثناء تحقيقه ديوان أبي العتاهية لم يشر إلى هذه القضية.

(٤) النديم (الفهرست) ص: ٣٠٠.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما شعره فقليل بقيت منه شذرات في كتاب (الأوراق) على نحو خاص، وقد طبع الكتاب المستشرق ج. هيوارث دن، وظهرت منه طبعات كثيرة في بيروت لكنها تفتقر إلى الدقة. في حين طبعت أشعاره حديثاً بطريق نازك سابايارد في كتاب سمته (في فلك أبي نواس) غير أنّ هذا الجهد منقوصٌ لضعف وسيلته في استقصاء أشعار أبان في المصادر.

٣. التعريف بأبان:

أ) اسمه:

ذكر الصولي أنّه أبانُ بنُ عبد الحميد بن لاحق بن عُفَر مولى بني رقاش من أهل البصرة[١]. وخالفه الأصفهاني عندما قال: «ابن عفير مولى رقاش» ومن جاء بعدهما أكد ما ذهب إليه الأصفهاني[٢]، مما يدل على خطأ وقع في المطبوع من (الأوراق) تحولت بموجبه عُفير إلى عُفر.

ومن العجب أن يذكر صاحب كشف الظنون أنه «اللاحقي البغدادي المعروف بالرقاشي الشاعر»[٣]، وقد نبه المتقدمون إلى أنه بصري المولد، وكان أَلِفَ بغدادَ بعدئذٍ، وأنه مولى لبني رقاش، ولم يكن رقاشياً صليباً.

---

(١) الصولي (الأوراق) ص: ١.

(٢) الأصفهاني (الأغاني) ص: ٩٣٠٤/٢٧. وانظر مثلاً (الفهرست) و(تاريخ بغداد)...

(٣) حاجي خليفة (كشف الظنون) ص: ١/٥.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ب) أُسرته:

ليس هنالك من الأخبار حول أُسرته ما يغني، ولكنّ ابن رشيق ذكر أنّ جدَّهُ لاحقاً وأباه عبدَ الحميد وابنَه حمدانَ وحفيدَهُ كانوا جميعاً من الشعراء[١]، وكان الصولي ترجم لبعضهم في أوراقه.

ج) مولده ووفاته:

لا تُعيّن المصادر سنةَ ولادة أَبان، ولا تحدد الزمن الذي برز فيه على مسرح الأحداث، وكل ما نعرفه إزاء هذه المسألة أنّه ولد بالبصرة وقضى فيها شطراً من زمانه، وكان حينئذٍ يواصل أصحاب المجانة واللهو، ولما خرج إلى بغداد اتصل بيحيى [بن خالد] بن برمك الذي تولى الوزارة في زمن الرشيد سنة سبعين ومئة[٢]، وقيل إنّه نظم له كتاب (كليلة ودمنة) شعراً ليسهل عليه حفظه، فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار[٣]، ثم قلده ديوان الشعراء ليرفع إلى بني يرمك من المديح الذي يدبجه الشعراء فيهم ما يراه صالحاً، ويسقط ما يراه فاسداً[٤]. ومع ذلك لا نجد فيما بقي من شعر أبان ما يحمد ليحيى هذا الصنيع إذْ كان سبباً في رفعته، ولكنه خص الفضل بن يحيى بأروع مدائحه، وزعم الجهشياري أنّ أبانا قدم قصيدته التي نظم فيها (كليلة ودمنة)

---

(١) ابن رشيق (العمدة) ص: ١٠٧٩/٢.

(٢) ابن الطقطقى (الفخري) ص: ١٩٥.

(٣) الصولي (الأوراق) ص:١.

(٤) الجهشياري (الوزراء) ص: ١٩٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى جعفر بن يحيى[١]،لا إلى أبيه كما تقدم.

وأما وفاة أبان فكانت كما ذكر ابن تغري بَردي نحو سنة مئتين للهجرة[٢]، في حين قال حاجي خليفة: إنّها سنة عشرين ومئتين للهجرة[٣].

د) علاقته بشعراء عصره:

كان أبان اللاحقي في بادئ أمره ينقطع إلى فئةٍ من الشعراء سماهم أبو نواس عصابة المجان منهم: حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان، ويونس بن هارون، وعلي بن الخليل، ويزيد بن الفيض، وجميل بن محفوض ومطيع بن إياس، ووالبة بن الحباب... وكان يونس، كما ذكر حماد عجرد، أكثر هؤلاء مجانةً وعبثاً، فكتب كتاباً لملك الروم في ذم العرب والقدح في دينهم[٤]. ومع أنّ صحبة أبان لهذه العصابة لم تدم طويلاً، فإنها أضرت به فيما بعد، ولا سيما عند توليه ديوان الشعراء.

واتصل أبان وهو بالبصرة بشعراء آخرين كان منهم المعذل بن غيلان، وهو شاعر كوفي، قدم البصرة مع عيسى بن جعفر بن المنصور لما تولاها[٥]. وقد نشأت بينهما علاقة صورت ما كانت تنطوي عليه شخصية كل منهما من التعابث والهزل، ويبدو لنا ذلك في المهاجاة التي دارت

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة) ص: ٢/٢١١.

(٣) حاجي خليفة (كشف الظنون) ص: ١/٥.

(٤) الجاحظ (الحيوان): ٤/٤٥٠.

(٥) الأصفهاني (الأغاني).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بينهما طويلاً، ولعل أخطر صور ذلك الهجاء ما قاله المعذل في أُبان[١]:

رأيت أبانـاً يـوم فطـر مصليـاً ... فقسم فكري واستفزنيَ الطربْ

وكيف يصلي مظلم القلـب دينـه ... على دين مان إنَّ ذاك من العجب

ووجه الخطورة في هذا الشعر أنه يوجه سهام الشك إلى عقيدته من جهة انتسابه إلى المانوية، ومن العجب أنّ المتقدمين لم يروا فيه سوى صورةٍ من صور التعابث بين الشاعرين[٢].

وهنالك شاعر آخر عاشره أَبان يكنى بأبي النضير[٣]، وكانا اجتمعا على الهجاء أيضاً، غير أنّ المصادر لم تحفظ من هجاء أبي النضير ما حفظته من هجاء أبان فيه حيث يقول[٤]:

إذا قـامتْ بواكيـك ... وقـد هتّكـن أَسـتارك

أيثنيـن علـى قـبْرٍ ... ك أَمْ يلعـنَّ أحجـارك

ومـا تـترك فـي الدنيـا ... إذا زرت غـداً نـارك

تـرى فـي سـقر المثـوى ... وإبليـس غـدا جـارك

ولأبان أخبار مع شعراء كثر، فقيل إنه كان مولعاً بابن مناذر وكان يمازحه قائلاً: «إنّما أنت شاعر في المراثي، فإذا مت فلا ترثني»[٥]، وروي

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٧.

(٢) انظر ما قاله الصولي في (الأوراق) ص: ٧.

(٣) هو عمر بن عبد الملك مولى بني جمح. (الأوراق) ص:٨.

(٤) الصولي (الأوراق) ص:٩.

(٥) الأصفهاني (الأغاني) ص: ٩٣٢٢. [الأوراق: ص٣٢ - ٣٣]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن مروان بن أبي حفصة كان يحسده، فذكر أن مروان «شكا إلى بعض إخوانه تغير الرشيد عليه وإمساك يده عنه، فقال له: ويحك أتشكو الرشيد بعدما أعطاك؟ قال: أوتعجب من ذلك؟ هذا أبان اللاحقي قد أخذ من البرامكة بقصيدة قالها واحدة مثل ما أخذته من الرشيد في دهري كله»[١]، وكان أبان اللاحقي يذهب في بعض شعره مذهب مروان فقيل: «عاتب أبانُ البرامكة في إعطاء الرشيد الأموال للشعراء وفقره مع ذلك، مع خدمته لهم، وموضعه منهم، فقال له الفضل: إن سلكت مذهب مروان أوصلت شعرك، وبلّغتك إرادتك، قال: والله ما استحل ذلك...»[٢]، ومذهب مروان مشهورٌ في دفاعه عن حق العباسيين في الخلافة، على اعتباره شاعرَ الرشيد، وعبارة أبان في هذا الخبر (واللهِ ما استحلُّ ذلك) تشي بأنَّه يخالف موقف مروان بن أبي حفصة، ولكننا نجدُ له شعراً يناقض ما ترمي إليه العبارة الآنفة جاء فيه[٣]:

نشدتُ بحقِّ اللهِ من كانَ مسلماً ... أَعُمٌّ بما قد قلتُه العُجْمَ والعَرَبْ
أَعَمٌّ نبيِّ الله أَقربُ زلفةً ... إليه أَم ابن العم في رتبة النسبْ
وأيُّهما أَولى به وبعهدِهِ ... ومن ذا له حقُّ التراث بما وجب
فإن كان عباسٌ أحقَّ بتلكم ... وكان عليٌّ بعد ذاك على سبب
فأبناءُ عباسٍ هُمُ يرثونَهُ ... كما العم لابن العم في الإرث قد حجب

(١) الصولي (الأوراق) ص:٦.
(٢) الصولي (الأوراق) ص: ١٤.
(٣) المصدر نفسه.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد تكون هذه القصيدة، التي ذكر منها الصولي (١٤) بيتـاً، فريـدة من حيثُ موضوعُها، فليس في شعره الآخر ما يدل على أنّه كان ينحاز إلى بني العباس في أمر الخلافة. وربما كان يبطن موقفاً مخالفـاً لمـا أثبتـه فـي هذه القصيدة، ويبدو أنّ الفضل بن يحيى هنا اضطره إلى إظهار عكـس مـا يبطن، فدعاه إلى احتذاء نهج مروان، فتظاهر أنّـه لا يستحل ذلـك، ولكنـه في قرارة نفسه لم يجد بُدّاً من مجاراة ابن أبي حفصة، لا ليكسبَ مالاً من العباسيين، إذ البرامكة أغدقوا عليه المال حتى بات محسـوداً مـن الشـعراء جميعاً بمن فيهم ابن أبي حفصة شاعر الرشـيد. وإنّمـا خـاف أن ينكشـف أمره لبني العباس فَيُنَكل به أو يُسْتَغْنَى عنه.

وبقي جانبٌ مهم يتصل بعلاقات أبـان مـع معاصريـه، وهـو علاقتـه بأبي نواس. إذ المصادر لا تذكر متى بدأت هذه العلاقة، ونظنّ أنها قديمة، وقد ترجع إلى الزمن الذي كانا فيه بالبصرة، فقد سبقتِ الإشارة إلى أن أبا نواس هو الذي أطلق على أبان وأصحابه من ذوي العبث والاستهتار تسمية عصابة المجان في شعر هجا فيه أباناً قال فيه[1]:

يريـــد أن يتســـوى بالعصبـــة المجَّـــان
بعجـــــردٍ وعبـــــادٍ والوالبـــيّ الهجـــانِ
وابـن الإيـاس الـــذي نـاح نحلتـيْ حلـوان
وقاســـم ومطيـــع ريحانـــة الندمـــان

(١) الصولي (الأوراق) ص: ١١-١٢، وفي ديوان أبي نواس بتحقيق الغزالي ص: ٣٧٠.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واستمرت هذه العلاقة بعد أن انتقلا إلى بغداد، ويروي ابن المعتز أنّ أبا نواس كان سبباً في الحظوة التي نالها أبان عند البرامكة، ويذكر أن يحيى ابن خالد اختار في البدء أبا نواس لينظم له كتاب (كليلة ودمنة) فلما سمع أبان بذلك صار إليه فقال له ناصحاً: «أنت رجلٌ مغرم بهذا الشراب، لا تصبر عنه وعن الاجتماع مع أخوتك عليه، وهو لذتك من الدنيا ومتعتك. وهذا الكتاب كتاب مشهور لم ينقل إلى هذا الوقت من المنثور إلى الشعر، وإذا فُعل ذلك تداوله الناس وطلبوه ونظروا فيه، فإن أنت توليته مع تشاغلك بلهوك ولذتك لم يتوفر عليه فكرك وخاطرك، ولم يخرج بالغاً في الجودة والحسن، وإن توفرت عليه واهتممت به قطعك ذلك عن لهوك ومتعتك، فلا تقدم عليه إلا بعد إنعام النظر. فظن أبو نواس أنّه قد نصح له، واستقال الأمر فيه فاستعفى عنه»[١]. ثم تلقفه أبان فلم يبرح داره حتى قلبه من المنثور إلى المنظوم، وكان كما ذكر ابنه «يصلي ولوح موضوع بين يديه، فإذا صلى أخذ اللّوح فملأه من الشعر الذي صنعه ثم يعود إلى صلاته»[٢]، حتى قضى في نظمه أربعة أشهر[٣]، ثم قدمه ليحيى بن خالد فأعطاه عشرة آلاف دينار، وأعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلاف، وقيل إنّ أبانا تصدق بثلث المال الذي أخذه.

وبعد ذلك استحكمت عداوة بين الشاعرين، فقيل إن أباناً لمّا تسلم

(١) ابن المعتز (طبقات الشعراء) ص: ٢٠٢.

(٢) الصولي (الأوراق) ص:١٢.

(٣) ابن المعتز (طبقات الشعراء) ص: ٢٠٣.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ديوان الشعراء لم ينصف أبا نواس، بل كان يسخر منه وينتقص من قدره، وحكى أنه أمر له مرة بدرهم زائف وقال:

«إني أعطيت كل شاعر على مقدار شعره، وكان هذا أوفى نصيبك عندي فهجاه»[١]، وذكر أيضاً أنّ أبا نواس كان ظئر ابنه حمدان ومعه نشأ وتأدب، فلما استقر أمر ديوان الشعراء لأبان في زمن البرامكة، جعل ينهاه عن مجونه، فقال يهجوه[٢]:

جالستُ يوماً أبانا ... لا دَرَّ دَرُّ أبانِ
ونحنُ حُضْرُ رِوَاقِ الْـ ... أَمير بالنَّهْرَوَانِ
حتّى إذا ما صلاةُ الْـ ... أُولى أَتت لأوان
فقام ثم بها ذو ... فصاحةٍ وبيان
فكلّ ما قال قلنا ... إلى انقضاء الأذان
فقال: كيف شهدْتُمْ ... بذا بغير عِيَانِ
لا أَشْهَدُ الدَّهْرَ حتّى ... تُعاين العينانِ
فقلتُ سبحانَ ربي ... فقال سبحان ماني

وكان أبان يرد على هجائه بهجاء كقوله في قصيدة أولها[٣]:

إن يكن هذا النوا ... سي بلا ذنب هجانا

ثم يذكر فيها:

---

(١) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ص: ١٨٨/٤.

(٢) الصولي (الأوراق) ص: ١١-١٢. وفي ديوانه ص: ٥٤٣.

(٣) المصدر السابق ص١٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هـــانئُ الجـــون أَبـــوهُ زاده اللـــــهُ هوانـــــا

وهكذا احتدم الهجاء بينهما حتى أذهب هجاءُ أَبي نواس هيبـة أبـان عند البرامكة، فذكر ابن عبد ربه أنه لما هجـا أبـو نـواس أبانـاً فـي قصيـدة مطلعها:

أَنت أولى بقلة الحـظ منـي يا مُسمى بـالبلبل الصـداح

بعث إليه أبان بأن لا يذيعها ويأخذ منه ألف ألف درهم، فقال له أبو نواس: «لو أعطيتني مئة ألف ألف درهم لم أجد بُداً من إذاعتها» فيقـال إن الفضل لما سمع القصيدة قال: «لا حاجة لي في أبان، لقد رمي بخمسٍ لا يقبله على واحدة منهن إلاّ جاهل»[١].

هـ) عقيدته:

كان أبان اللاحقي محسوداً كما صورنا آنفاً، لأنّه كان يشغل مكانة رفيعة عند البرامكة، مثل توليه ديوان الشعراء، وتحكمه بأعطيات الشـعراء، ومـن الطبيعـي أن يكـثر منافسـوه، ولعـل أبـا نـواس كـــان أَخطـر هـــؤلاء المنافسين، لظنه أنّ أباناً كأنما اغتصب حقه في نظم كتاب (كليلة ودمنـة) لمّا صرفه عنه بالحيلة، ثم ظلمه بعد ذلك، ولسنا نعجب بعد الذي صورتـه المصادر إزاء هذه العداوة بينهما أن يرمي النواسي أبانـاً بالزندقـة فـي شـعر كثير منه[٢]:

---

(١) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ص: ١٨٨/٤.

(٢) الصولي (الأوراق) ص: ١١.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا أشـهد الدّهـر حتّـى تعـاين العينـانِ

وكان النواسي قد نسبه في هذه القصيدة إلى المانوية، وشبهه بعصبة المجان، وقدْ دافع عنه الجاحظ بقوله: «والعجب أنّه يقول في أبان: إنّه ممن يتشبه بعجرد ومطيع ووالبة... وأبان فوق ملء الأرض من هؤلاء، ولقد كان أبان وهو سكرانُ أصحّ عقلاً من هؤلاء وهم صحاة»[١]، وعندما انتهى به القول إلى عقيدته ذكر: «فأما اعتقاده فلا أدري ما أقول لك فيه»[٢]. وعلى الرغم من الغموض الذي يكتنف عبارة الجاحظ الخاصة بعقيدة أبان، فإن الناس قديماً وحديثاً قد وقفوا موقفين متعارضين من عقيدة أبان: موقف سلبي مثله خصومه من الشعراء والأدباء في عصره أمثال المعذل بن غيلان وأبي نواس وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وقد نحا بعض المتأخرين نحوهم كعبد القادر البغدادي الذي ذكر إنه «شاعر مطبوع بصري ولكنه مطعون في دينه»[٣]، وكذلك آثر نفر من المحدثين اعتباره ماجناً أمثال د. شوقي ضيف وعبد الرحمن بدوي[٤]، فهؤلاء جميعاً وجهوا سهام الشك إلى عقيدته، فنسبوه إلى المانوية، وهذا الموقف عند

(١) الجاحظ (الحيوان) ص: ٤/ ١٤٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البغدادي (خزانة الأدب) ص: ١٧٣/٨.

(٤) انظر مثلاً إلى ما كتبه د. شوقي ضيف عن أبان في (العصر العباسي الأول) ص: ٩٠ وإلى كتاب د. عبد الرحمن بدوي (من تاريخ الإلحاد في الإسلام) ص: ٤١.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معاصريه خاصة، ينطوي على عداوة وتنافس. وأما أبو عبيدة فكانت بينه وبين أبان عداوة أيضاً، إذْ كان أبان كما تذكر بعض المصادر يثلبه ويقدح في نسبه في مجالسه وكان أبو عبيدة يتهمه في عقيدته[١].

وموقف إيجابي أثنى فيه المتقدمون على خلقه ومعتقده، فذكر أبو زيد الأنصاري: «كان جاري فما فقدت قراءته في ليلة قط»[٢]، وقال مهدي بن سابق: «كان أبان جاراً لي وكان باطنه خيراً من ظاهره، وكان يصلي بالليل»[٣]، وقال الصولي: «وكان أبان حسن السريرة حافظاً للقرآن عالماً بالفقه»[٤]، وقال أبان عن نفسه: «أنا أرجو الله وأسأله رحمته، ما مضت عليّ ليلة قط لم أُصلِّ فيها تطوعاً كثيراً»[٥].

وإذا انتهى بنا الأمر إلى آثاره وجدنا فيما بقي من شعره عاطفة لديه موصولة بالإيمان حيث يقول[٦]:

قلت للحواري قد طولت إتعابي مالي وللشعر والقرآنُ أولى بي

ويقول أيضاً[٧]:

---

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٣٦-٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) الصولي (الأوراق) ص: ٣٨.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أشـــــهد أن لا إلـــــه إلاّ إلهنـــا الخـــالق الكبـــيرُ
محمـــدٌ عبـــده رســـولٌ جـــاء بحـــق عليـــه نـــور

وله قصيدة في الصيام أولها[١]:

هذا كتاب الصوم وهو جامع لكل مـا قـامت بـه الشـرائع
من ذلك المنُزل فـي القـرآن فضـلاً على مـا كـان ذا بيـان

وبالمقابل يجد الباحث مفرداتٍ أو تعابيرَ في شعره تثير اللبس، كقوله وهو يذكر طائر التدرج في بعض شعره[٢]:

وأتـى تـدرجٌ وبيـع كثـير ونعـال سـنديةٌ صـراره

وقد يكون ذكره طائر التدرج من باب التعابث، أو يكون وقع مصادفة هنا، غير أنّ لطائر التدرج جانباً من القداسة عند المانوية، فقد كان مما يمتحن به الزنادقة، ففي عهد المأمون كان إذا أُلقي القبض على زنديق من أتباع ماني خُيّر بين الرجوع عما هو فيه، أو القتل، فإذا رجع امتُحِن بالبصق على صورة ماني، وقتل طائر التدرج[٣].

ومن ذلك أيضاً قوله يصف مدينته فَسَا[٤]:

وخصلـة خصـت بهـا أنّـه خير بني الكفار كفارهـا

(١) المصدر نفسه ص: ٥١.
(٢) المصدر نفسه ص: ٢٧
(٣) بدوي، عبد الرحمن (من تاريخ الإلحاد) ص: ٤١.
(٤) الصولي (الأوراق) ص: ٤٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ففي قوله: (خير بني الكفار كفارها) ما يثير الشك، فكيف يصح التفاضل في الكفر، فيكون بعض الكفار خيراً من بعض؟!

وأمر آخر يبعث على الحيرة في أمر عقيدته وهو نظمه كتاب مزدك شعراً بعدما ترجمه ابن المقفع من الفارسية إلى العربية، ومزدك صاحب عقيدة تممت عقيدة ماني، وكان قد دعا إلى تغليب النور على الظلمة، والدعوة إلى شيوع المال والنساء... ويذكر بعض المستشرقين أنّ الكتاب لا يعدو كونه كتاب متعة[1]، ولكنه في ضوء ما اتهم به أبان قد يتحول من صورة إلى صورة أخرى.

٤. شاعريته:

إنّ ما تبقى من شعر أبان قد يعطي صورة دقيقة عن أسلوبه وشاعريته، خصوصاً أن ما وصل إلينا من شعره لا يصعد إلى الأفق الذي وصلت إليه شهرة أبان عند أدباء عصره من جهة اقتران ذكره بأبي نواس، وتفوقه عليه في رأي بعض النقاد كما أشرنا آنفاً.

أ) مكانته:

شغل أبان مكانة أدبية رفيعة عند المتقدمين، فقد بينا فيما سبق كيف ميزه الجاحظ عن ذوي المجانة بصحة العقل، ثم جعله على رأس

(١) بلاّ، شارل (الجاحظ) تر: إبراهيم كيلاني ط. دار الفكر بيروت ص: ٩٦.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المحدثين في الطبع فلم يقدم عليه إلاّ بشار بن برد[١]، أما ابن المعتز فقد فضله على أبي نواس في باب الهجاء خاصة، فقال: «وقد هجاه أبو نواس بشعر كثير فما سار له فيه شيء على شهرة شعره، ولم يقل في أبي نواس غير ثلاثة أبيات وقد سارت في الدنيا وهي[٢]:

أبو نواس بن هاني وأُمه جُلُبَّان
والنّاس أفطن شيء إلى دقيق المعاني
إن زدت حرفا على ذا يا صاح فاقطع لساني

ولم يكتف ابن المعتز بذلك وإنما جعل أبانـاً في طبقة أسمى من طبقة أبي نواس فقال: «وكان في جميع أحواله أرفع طبقة من أبي نواس»[٣]، وواضح أنّ ابن المعتز كان معجباً بأبان وبشعره ونظمه أيضاً، وقد بالغ في الثناء على أُرجوزته في نظم كليلة ودمنة بقوله: «لم يتعلق عليه بخطأ في نظمه»[٤]، مع أنّه انفرد من بين الأدباء بذكر ما جرى بين أبي نواس وأبان بشأن نظم كليلة ودمنة، إذ أظهرت روايته أبانـاً ماكراً مخادعاً كأنما استلب من أبي نواس الكتاب فارتفع بنظمه عند البرامكة.

والحق أنّ أبانـاً لم يتفوق على أبي نواس، لا في الهجاء ولا في

(١) الجاحظ (الحيوان)، ص: ٤/٢٤١.
(٢) ابن المعتز (طبقات الشعراء)، ص: ٢٤٢.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٤١-٢٤٢.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٤١.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غيره، فالأبيات التي بالغ ابن المعتز في الثناء عليها إن سلمت من الضعف لا تسلم من الشك، إذْ نسبها بعض الأدباء لابنه حمدان[١]. وكذلك لا أرى فيما بقي من شعر الرجل ما يرفعه إلى طبقة أبي نواس، وأظن أنّ ابن رشيق قد بالغ في حكمه عندما قال: «ومن طبقة أبي نواس العباسُ بن الأحنف ومسلمُ ابن الوليد والفضلُ الرياشي وأَبانُ اللاحقي وأبو الشيص والحسين بن الضحاك ونظراء هؤلاء ساقتهم دعبل...»[٢]. إلاّ إذا كان له شعر لم نطلع عليه نحن يوازي في جودته ما وصل إلينا من شعر أبي نواس ومسلم بن الوليد، وهذا احتمال ضعيف لظني أنّ الدّهر إنما يبقي النماذج القوية المكتملة، ويهمل التجارب الوليدة الضعيفة.

ب) آثاره:

سبقت الإشارة أن أبانا ترك شعراً ونظماً لا نعرف مقدارهما، ذلك أنّ آثاره لم تحظ بكتاب مدون، وإنما تناثرت صور منها في كتب الأقدمين.

١. شعره:

اشتهر أبان اللاحقي بهجائه، إذ الهجاء ذهب بباب واسع من شعره، وإلى جانب الهجاء قال شعراً في المدح والرثاء والغزل.

---

(١) أورد الصولي أن الحسين [بن علي المهدي] رواها عن شاكر [بن عبد الله بن عبد الحميد بن لاحق] لحمدان بن أبان (الأوراق) ص: ٣٣.

(٢) ابن رشيق (العمدة) ص: ٢١٣/١.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أ - هجاؤه:

لم يعمد أبان في هجائه إلى التعابث والفحش إلا في مقطعة واحدة ذم فيها أبا نواس بعدما آلمه وأوجعه أولها[١]:

إن يكن هذا النوا سي بلا ذنب هجانا

وما عدا هذه المقطعة ابتعد في هجائه عن القذف والفحش على كثرة ما هجاه منافسوه بمعان وألفاظ يترفع الذوق عن ذكرها، إضافة إلى طعنهم عليه عقيدته، ومع ذلك لم يستسغ أبان الشتم والسب، وآثر اللّطف في الهجاء مثل أن يعيب على المهجو وقوعه في التصحيف كقوله في أبي العتبي[٢]:

فلو كان ما قد روى عنهما سماعا ولكنه من كتاب
رأى أحرفا شبهت في الهجاء سواء إذا عدها في الحساب
فقال أبي الضيم يكنى أباً وليست أبي إنما هي آبي

وأحياناً يعرّض بنسب منافسيه كقوله في المعذل بن غيلان[٣]:

أحاجيكم ما قوس لحم سهامها من الريح لم توصل بقدٍ ولا عقب
ألا تلك قوس الدّحدحي معذل بها صار عبديّا وتمَّ له النسب

(١) الصولي (الأوراق) ص: ١٢.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٥.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٧.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأحياناً أخرى ينعت مهجوه بالحمق كقوله في أبي النضير[١]:

غضب الأحمق إذْ مازحته كيف لو كنا ذكرنا المردغه
سوّد الله بخمس وجهه دكن أمثال طين الردغه

فهذا الهجاء له نظائر عند أبان، وهو من حيثُ موضوعُهُ، كما ترى، يسيرٌ من جهة شدة وقعه على نفس المهجو؛ ذلك أنّه هجاءٌ نفسي بعيدٌ عن القدح في الأعراض، أو الشك في العقائد، رفيعٌ عن البذاءة. إنّه باختصار لا يتناول أكثر من الإشارة إلى العيوب النفسية والمساوئ الخلقية الناجمة عن صفات المهجو وأقواله وأفعاله. هذا من جهة معنى الهجاء عنده.

وأما أسلوبه فتغلب عليه اللغة اللينة التي تجنح إلى التعابث والهزل، ويرجع السبب في ذلك أنّه أراد أن يجعل من مهجوه أُضحوكة، ومن شعره فيه نادرة يتداولها الناس بيسر وسهولة، ولهذا لم يكلف نفسه جهداً كبيراً في تخير الألفاظ التي أَخرج بها ذلك الهجاء. فلهذا لا تجد في أَهاجيه أَثراً لرصانة التعبير أو قوة التركيب، أو تماسك النسج، مثلما تجد هذه الصفات عند أبي نواس ومسلم، وإذا أردنا أَن نعرض جانباً من الهجاء اللين الذي نتكلم عليه من شعر أبان نجد قصيدته في هجاء رجل من ثقيف تصور ما أشرنا إليه بوضوح، يقول[٢]:

---

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٩.

(٢) المصدر السابق ص: ٢٤.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لمـــا رأيـــت الـــبز والشـــاره والفـرش قـد ضـاقت بـه الحـاره
واللـوز والســكر يُرمـى بـه من فـوق ذي الـدار وذي الـداره
وأحضـروا الملهيـن لـم يـتركوا طبـلاً ولا صـــاحب زُمّـــاره
قلـت لمـاذا قيـل أعجوبـة محمّـــد زوج عمّـــاره
لا عمـــر اللـــه بهـــا ربعـــه ولا رأتـــه مدركـــا ثـــاره

لا شك أنك تلحظ أنّ في هذا الشعر ليونةً وتلقائية تضر بأسلوبه حقاً. إذ الليونة المحمودة تلك التي تتصل بالطبع والبديهة، لكنها هنا جازت الحد المستجاد فتحولت لغة الشعر في ضوئها إلى لفظية مغرقة نفت عن الشعر شعريته، وغسلته من ضروب التصوير التي من شأنها أن تصدم إحساس القارئ فتعمق وعيه بالجمال.

إنّ اللغة في مثل هذا الهجاء مباشرة، أو قل إنها عادية لا تعتمد كثيراً على الإيماءات والتصاوير، لذا فقد تقرأ قصيدة كاملة في الهجاء أو جزءاً من قصيدة دون أن تقع على استعارة أو تشبيه من مثل قوله في هجاء عسكر[1]:

أتـــاني عســـكرٌ أخـــزا هُ مـــن إيـــاي قـــد أخـــزى
وقـــد ألبســـتُ مـــن شـــقو ةِ جـــدّي جبتـــي الخـــزّا
وكـــانت مـــن تـــلادٍ مـــو دع مـــن شـــفق حِـــرزا
حـــذار أن يراهـــا طـــا مـــع يومـــاً فتبـــتزّا

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٢٥.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فجـــاء القـــدر الجالِـــ ـــبُ بـــي يحفزنـــي حفـــزا
إلـــى مســـتكتب يدعـــى بفضـــل حـــافظِ المعـــزى
فقـــال اكـــسُ فتـــىً يمنـــ ـــك الـــودّ تـــزد عـــزا

وإذا ما استعرضنا صور هجائه كافة فقد لا نجد قصيدة أو حتّى مقطعة تخرج على تلك الملاحظات النقدية التي أشرنا إليها، وتبقى بعض القضايا الأسلوبية التي تخص الهجاء وغيره من موضوعات شعر أبان سنشير إليها في خاتمة هذا البحث.

ب – مدحه:

قيل إنّ أَباناً لما خرج من البصرة إلى بغداد، كان دبّج قصيدةً في مديح الفضل بن يحيى، لكنه لم يجده حين قصده، فوقف ببابه إلى أن جاء، فتوسل إلى رجل هاشمي كان في موكب الفضل فقال له[1]:

يا عزيز النّدى ويا جوهر الجوْ هـــر مـــن آل هاشـــم بالبطـــاح
إنّ ظنّـي وليـس يخلـف ظنّـي بـك فـي حـاجتي سـبيل النجـاح
إنّ مـن دونهـا لمصمتُ بـاب أنـت مـن دون قفلـه مفتـاحي
تـاقت النفـس يـا خليـل السـماح نحو بحـر النـدى مجـاري الرِّيـاح
ثمّ فكرت كيف لي واستخرت اللـ ـــه عنـــد الإمســـاء والإصبـــاح
وامتدحـت الأمـيرَ أصلحـه اللـ ـــه بشـــعرٍ مشـــهّر الأوضـــاح

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٣.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال له الهاشمي: هاتِ مدحك، فقال[١]:

أنا من بغية الأمير وكنز ... من كنوز الأمير ذو أرباح
كاتب حاسب خطيب أديب ... ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الري ... شةِ مما يكون عند الجناح

وهي طويلة تداول الناس بعض أبياتها، وروي أنها لمّا بلغت أبا نواس نقضها بقوله[٢]:

إنّ أولى بقلة الحظّ مني ... المسمى بالبلبل الصياح
لم يكن فيك من صفاتك شيءٌ ... غير خلق مدحدح دحداح
لحية ثطة وأنف قصيرٌ ... وانثناء عن التقى والصلاح

ولأبان قصيدة أخرى مهمة مدح فيها الفضل أولها[٣]:

أأحزنك الأولى ردّوا ... جمال الحي وادلجوا

وقد تكون من أطول مدائحه الباقية وأجودها، وأكثر ما يشد القارئ فيها مزاوجته بين ذكر الطلل والنسيب ثم مقابلته بين هذا الموضوع وإيثاره الاستماع إلى الغناء وميله إلى اللهو، وهذا جانب مستحدث في فواتح الأشعار عرفه الشعراء العباسيون دون من تقدمهم، ويجوز أن يكون أبان اللاحقي في أثناء مقابلته بين ذكر الطلل والغناء قد نزع إلى تجديد في

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٤.
(٢) المصدر نفسه ص: ٢٢.
(٣) المصدر نفسه ص: ١٥.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشعر احتذاء بصنيع النواسي الذي كان يقابل بين الطلل والخمرة في كثير من أشعاره، ويبقى هنالك فارق كبير بينهما وهو أنّ أبا نواس قد حول هذا المعنى الشعري بطريق تكراره في شعره إلى ظاهرة فنية، في حين لم يترك أبان شعراً كثيراً في هذا الجانب غير الأبيات التي اشتملت عليها قصيدته الآنفة ومنها قوله:

ومنزلة وقفت بها ... لأدنى عهدها حجج
محتها الرّيح يغشى التر ... ب مغناها وينتسج
نعمنا ليلة الأنعا ... م حيث العرج ينعرج
بناعمة كمثل البدْ ... ر شاب دلالها غنج
تغاديني المعازف عو ... دها والصنج والرنج
بكفي شادن لم أنـ ... ـسَهُ في طرفه غنج
له نغمات قينات ... بها الأرواح تختلج
أحبُّ من الغناء مليـ ... ـح ما إيقاعه الهزج

وأما موضوع هذه القصيدة فليس فيه دلالة على نهج خاص تبعه أبان في مديحه، إذ ردد فيه صفاتٍ طالما تعاورها سابقوه كالشجاعة والجود والتقى...

ونجد إلى جانب هاتين المدحتين مقطعات أُخر في مديح الفضل بن يحيى كالتي يبدؤها بقوله[1]:

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٢٠.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إن شـمل الشيبُ قنـاع البلـى مفارقـاً منـي وأصداغـا

والتي يقول فيها أيضاً[١]:

بالفضل يحسن لفظ كل مقال وبـه تسـير غرائـب الأمثـال

وهذا معناه أن الفضل كان ممدوحه الأول، فإذا مـا دعتـه الظـروف إلى مدح الخليفة مثلاً تمثلت له خلائق الفضل ومـآثره فلـم يجـد بُـدّاً مـن ذكره، والإشادة بأعماله التي أسـهمت فـي تثبيـت أركـان الخلافـة، يقـول مخاطباً الرشيد[٢]:

هنيئـاً أمـير المؤمنيـن لـك الظفـر فقد تمت النُّعمى وقد ساعد القـدر

ويخلص فيها إلى الإشادة بالفضل:

فكان هو الكنـز الـذي أُيـدت بـه خلافة هارون الإمام وما شـعر

ويردد هذا الصنيع في مقطعة أخرى أيضاً[٣]:

أطـال اللـه فـي عـز ونصـرٍ بقـاءك يـا أمـير المؤمنينـا
إذا مـا الحـرب شـبّ لهـا ضـرام تقلـب فيـه أيـدي الناكبينـا
فـولٍّ مهمهـا الفضـل بـن يحيـى وقد رجّمـت فـي يحيـى الظنونـا

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٢١.

(٢) المصدر نفسه ص: ١٩.

(٣) المصدر نفسه ص: ٢١-٢٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لئـن خصتـكَ نعمتهـا بفضـلٍ لقـد عمـت جميـع المسـلمينا

وهكذا نرى أن مديحه يكاد يقتصر على الفضل بن يحيى، ونعجب أننا لم نعثر على مدحٍ ليحيى بن خالد بين قصائده ومقطعاته الباقيات، إذْ كان يحيى قد بوأه مكانةً رفيعة عند البرامكة.

وفحوى القول في مديحه إنه تقليدي في أغلبه، وليس فيه معنى متميزٌ سوى مديحه نفسه الذي يطالعنا في بعض مدائحه في الفضل كقوله[١]:

فبمثلي تخلو الملوك وتلهو وتناجى في المشكل الفداح
أيمن الناس طائراً يوم صيد في غدو خرجت أم في رواح
أبصر الناس بالجوارح والخيـ ـل وبالخرّد الحسان الملاح

وهذا مديح للنفس لم يتوسع فيه شاعر في تاريخ العربية بعد أبان مثلما توسع به أبو الطيب المتنبي.

ج – رثاؤه:

إنّ أَهمَّ صور الرثاء الباقية لأبان قصيدته في رثاء قاضي البصرة سوار ابن عبد الله، وهي قصيدة طويلة بلغت (٦٦) بيتاً يذكر في بدايتها[٢]:

نفر نومي الخبر الساري إذ صرخ النعيُّ بسوار
هُدّ له ركني وآض الحشا كأنما سعّر بالنار

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٥.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٢-٤٦.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يـا عيـن فابكيـه ولا تقصـري فليـس هـذا حيـن إقصـار

لقد جمع أبان في هذه القصيدة مواقف الرثاء الثلاثة المتمثلة بالندب والتأبين والتعزية، ولكنّ ندبه هنا لم يكن مؤثراً، إذ الندب الذي يفي بالغرض يكون مثيراً للحزن، مبيناً مقدار المصاب، قادراً على تعميق إحساس السامع بالفاجعة. حتى إذا ما انتقل إلى التأبين انصرف إلى تعداد مآثر الفقيد، ثم يعمد إلى التعزية بعد هدوء وتيرة الانفعال بالمصاب فيستشف من المصاب ما يدعو إلى الاعتبار بالموت. من أجل ذلك نشعر وكأنّ أباناً هنا لم يفِ بما يلزم الندب من العواطف، وليس ذلك فحسب وإنما نجد في اعتماده على وزن البحر السريع ما يثير الإيقاع ويخفف من وطأة الحزن وتوتر الانفعال.

ويبدو أنّ رثاء أبان عامة يمضي على هذه الوتيرة، ففي مقطعاته الأربع التي تركها في رثاء هيلانة جارية الرشيد دلالة على برودة عواطفه إزاء موضوع الرثاء، حتى لكأن هذا الموضوع استحال عنده ضرباً من المصانعة، يقول مواسياً الرشيد في موت هيلانة[1]:

يـا أمـير المؤمنيـن المرتضـى إحمـد اللـه علـى مـا قـد مضـى
إن تكـن هيـلان وافـت قـدراً فاسـلُ يعقبـك بـه اللـه الرّضـا
إنمـا يحـزن مـن ليـس لـه خلـف يسـليه عمـا قـد مضـى

ويقول أيضاً[2]:

(١) الصولي (الأوراق) ص: ١٨.

(٢) المصدر نفسه ص١٩.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أديل من السرور الحزن لما ثوت هيلان في جدث ورمس
وأصبحت البلاد غداة ولّت عليها وحشة من بعد أُنس

وهنالك أمثلة باقية من شعره تدل على أنه كان يميل في بعض مراثيه إلى الحكمة، وهذا سببٌ في برودة عواطفه إزاء هذا الموضوع، يقول[1]:

مضى أنسٌ وقفاه حسين ومات أخوهما عبد السلام
ثلاثة أنجم أفلوا جميعاً دراري تضيء دُجى الظلام
وعاش مذمم لفساد دهر خؤون العهد يلعب بالأنام
كذاك الخيل يبقى الدون منها فأما السابقات فللحمام

وواضح هنا كيف انتقل بالرثاء من مجال تصوير الانفعالات المباشرة بالموت إلى فضاء رحب يستوعب التأمل والتفكير، ليخلص في النهاية إلى الوعظ، والاعتبار، وهذه النّزْعة الحكمية قد تطول عموم مراثيه الباقية.

د – موضوعاته الأخرى:

بقيت لأبان، إضافة لماذكرناه آنفاً من موضوعات الشعر، بعض مقطعات في الغزل والمجون، وذكر له الصولي مقطعة يشكو فيها على لسان أهل البصرة من ظلم عمال الرشيد، خصوصاً عندما أرادوا أن يجعلوا بعض ضياع البصرة خراجاً، فاجتمع إليه الناس على نحو ما يروي الصولي

(١) الصولي (الأوراق) ص: ٣٦.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وسألوه أن يعمل أبياتاً إلى يحيى بن خالد فقال[١]:

أشـــــهد أن لا إلـــــه إلاّ إلهنـــا الخـــالق الكبـــير
محمـــدٌ عبـــده رســـول جـــاء بحـــقّ عليـــه نـــور
وأنّ هـــارون خـــير وال فـي العـدل مـا إن لـه نظـير
خليفـــة اللـــه قـــد رضينـــا مـــا ســـار فينـــا ومـــا يســـير
وأنّـــه خـــير مـــا إمـــام وأنّ يحيـــى لـــه وزيـــر
أبـــا علـــي إليـــك نشـــكو ظلمـــاً عرانـــا بـــه مغـــير
تزعـــم أموالنـــا خراجـــاً وهـــي كمـــا لـــم تـــزل عشـــور
وشـــرطنا أنّ كـــل محيـــي فهـــي لـــه ملكهـــا يصـــير
حكـــم نبـــيّ الهـــدى أتتنـــا ســـنتُه وهـــو لا يجـــور

وأبان هنا يصور جانباً من حياة النـاس[٢]، وقـد اعتراهـا ظلـم عمـال الخلافة، وهو جانب قلما احتفلت به المصادر التي أرخـت الشـعر، لا بـل قلما التفت إليه الشعراء في مختلـف عصورهـم، ذلـك أنهـم انحـازوا إلـى الفئات الغالبة طمعاً بالعطاء، فسكتوا في أغلب الأحيان عـن حيـاة الرعيـة، من أجل ذلـك تكتسـب هـذه القصيـدة مـن جهـة موضوعهـا أهميـة بالغـة

(١) المصدر نفسه ص: ٣٨.

(٢) ذكر شارل بلاّ في كتابه (الجاحظ) أنّه لما عزم الرشيد على تحويل الأراضي فـي البصرة أراضي خراج لتخضع إلى ضريبة العشر لجأ أصحابها – ولعلهم كـانوا من الفرس – إلىَ أبان طالبين منه التوسط لدى يحيى بن خالد، فنظم أبان هذه الأبيات لشرح هذه القضية. انظر الكتاب المذكور آنفاً ص: ٣٠٥.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكونها تضيء جانباً من حياة العامة في العصر العباسي.

وفحوى القول: كان أبان ممن احترف النظم دون الشعر، فقد قيل له: «قُلْ في الغزل كما يقول فيه أبو نواس. قال: فأبو نواس لم ينقل إلكتب للشعر كما نقلت، وإنما أعمل الشعر فيما ينفعني»[١]، فهو إذن كان ينتفع بالنظم فأكثر منه وأجاد فَذُكر أنّه لما عمل «كتاب كليلة ودمنة شعراً في قصيدته المزدوجة... قيل له بعد ذلك: ألا تعمل شعراً في الزهد، فعمل قصيدةً مزدوجة في الصيام والزكاة يوائم بها تلك»[٢].

وأما الشعر فليس بذي نفع عنده فنظمه تلبية لدواعي الوجدان ليس غير، فلهذا لم يبرع فيه كما برع في النظم، فكان شعره من الناحية النقدية وسطاً بين الجيد والرديء.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت ٦٥٨هـ - ١٢٦٩م (إعتاب الكتاب) تح: صالح الأشتر، ط. مجمع اللغة العربية - دمشق ١٩٦١م.

(١) الصولي، (الأوراق) ص: ٣٩.

(٢) المصدر نفسه ص: ٥١-٥٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن ت ٣٥٦هـ - ٩٦٧م: (الأغاني) ط. دار الشعب - القاهرة ١٩٦٩م.

٣. البغدادي، عبد القادر ت ١٠٩٣هـ - ١٦٨٢م: (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب) تح: عبد السلام هارون ط. مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨١م.

٤. ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي ت ٨٥٢هـ - ١٤٧٠م: (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) مط. دار الكتب المصرية ١٩٥٠م.

٥. الجاحظ، عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ - ٧٦٩م: (الحيوان) تح: عبد السلام هارون ط القاهرة ١٩٦٥م. (البيان والتبيين) تح: عبد السلام هارون ط. دار الفكر ١٩٦٩م.

٦. الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ - ٩٤٣م: (الوزراء والكتاب) ط١. مط مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨م.

٧. الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر بن علي ت ٤٦٣هـ - ١٠٧١م: (تاريخ بغداد) ط. دار الكتاب العربي - بيروت.

٨. حاجي خليفة ت ١٠٦٧هـ - ١٦٧٩م: (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) ط. دار الفكر بيروت ١٤٠٢هـ.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٩. ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني ت ٤٥٦هـ – ١٠٧١م: (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) تح: قرقزان ط. بيروت ١٩٨٨م.

١٠. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ – ١٣٦٤م: (الوافي بالوفيات) ط. القسطنطينية ١٩٣٩م.

١١. الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى ت ٣٣٥هـ – ٩٤٦م: (أخبار الشعراء – الأوراق) تح: ج. هيوارث دن.

١٢. ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد ت ٣٢٧هـ – ٩٣٨م: (العقد الفريد) مط. الأزهرية القاهرة ١٩٢٨م.

١٣. أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم ت ٢١٠هـ – ٨٢٣م: (أشعاره وأخباره) تح: شكري فيصل ط. بدمشق ١٩٦٥م.

١٤. ابن المعتز، عبد الله ت ٢٩٦هـ – ٨٧٧م: (طبقات الشعراء) تح: عبد الستار أحمد فراج ط٢. دار المعارف ١٩٨٦م.

١٥. النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق ت ٣٨٠هـ – ١٠٤٧م: (الفهرست) تح: ناهدة عباس ط. دار قطري بن الفجاءة – قطر ١٩٨٥م.

١٦. أبو نواس، الحسن بن هانئ ت ١٩٦هـ – ٨١٢م: (ديوانه) تح: أحمد عبد المجيد الغزالي ط. دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٨٤م.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانياً: المراجع:

١٧. بدوي، عبد الرحمن (من تاريخ الإلحاد في الإسلام) ط. بمصر ١٩٤٥م.

١٨. بلاّ، شارل (الجاحظ) تر: د. إبراهيم كيلاني ط١. دار الفكر بيروت ١٩٨٥م.

١٩. ضيف، شوقي (تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي) ط٢. دار المعارف ١٩٧٣.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net